

ال التربية الإسلامية - موضوعات مختلفة - الدرس (٠١٦) : مقاييس الإيمان - الرحمة - عدم هجر الأخ لأخيه.

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علمًا، و أرنا الحق حقاً و ارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلًا و ارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، و أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقاييس صحة الإيمان :

أيها الأخوة المؤمنون ، الإنسان أحياناً يود أن يطمئن على إيمانه، على إسلامه، على مرتبته، على مكانته عند الله، على مدى نجاحه في الدنيا، على مدى الحظوة عند الله يوم القيمة، هذا دافع مستمر، أن تعرف حدود إيمانك، مرتبة إيمانك، أن تعرف ما لك عند الله، أن تعرف كرامتك عند الله، هذا دافع كامن في كل مؤمن، ولكن المؤمن أحياناً يتذبذب بعض المقاييس، ويعرض عن بعضها الآخر، فقد يقيس إيمانه بأنه يصلبي الصلوات الخمسة، ويصوم الصيام المفروض، وقد حج البيت مرتين، وأنفق من ماله كثيراً، هذا مقاييس، شرط لازم غير كاف لكن أحياناً هناك مقاييس أخرى، لأن المؤمن قاس نفسه بها لجاء المؤشر منخفضاً.

يا ترى هل هناك في القرآن مقاييس لصحة الإيمان؟.. مقاييس لتفوق المؤمن في إيمانه؟ أقول لكم في هذا الدرس مقاييساً واحداً من هذه المقاييس ما إذا كان قلبك مفعماً بالرحمة أو لا؛ لأن

الله عز وجل يقول متحدثاً عن الكفار:

(فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِّيقَاتُهُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا^١
فُلُوبَهُمْ قَاسِيَةٌ يُحرَقُونَ الْكَلِمَ عَنْ
مَوَاضِعِهِ وَسُوَا حَظَا مِمَّا ذَكَرُوا بِهِ وَلَا
تَرَالْ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ)



الرحمة مقاييس قرآنی لإيمان الفرد

[سورة المائدة : ١٣]

هناك علاقة بين بعد الإنسان عن الله عز

وجل وبين قسوة قلبه، لا أقول هذا هو المقاييس الوحيد لا.. هذا أحد المقاييس، ولكن إذا وضعنا بين أيديكم هذا المقاييس، هذا مقاييس دقيق جداً، أي الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل كلما اشتق منه

الرحمة، فكل قلب مفعم بالرحمة هو قلب قريب من الله عز وجل، وكل قلب قاسٍ هو قلب بعيد، وهذه علاقة ضرورية، لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسْلَنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْأَنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أَتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رَعَايَتِهَا فَاتَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)

[سورة الحديد : ٢٧]

إذاً هذا القلب الذي بين جوانحك إذا أقبلت على الله عز وجل واتبعته النبي عليه الصلاة والسلام امتلاً قلبك رحمة، فإذا ابتعدت عن الله عز وجل امتلاً القلب قسوةً.

الرحمة التي أودعها الله في قلب الآباء والأمهات :



رحمة الآباء بأبنائهم رحمة فطرية

قد يسأل سائل: ما بال جميع الأمهات يحببن أولادهن؟ أقول لكم: هذه الرحمة التي أودعها الله في قلب الأم، هذه الرحمة الأقل منها التي أودعها الله في قلب الأب، هذه رحمته تسمى في علم الميكانيك السرعة الابتدائية، أي الله عز وجل وضع هذه الرحمة في قلب الأمهات المؤمنات، والفاشقات، والفاجرات، والملحدات، والمستهترات،

والساقطات، أية امرأة أودع الله في قلبها رحمة إكراماً لابنها من أجل أن تربيه، لذلك من معاني قوله تعالى:

(أَنْ افْدِقْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِقْهِ فِي الْيَمِّ فَلَيُلْقِهِ الْيَمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَذُولٌ وَعَذُولٌ لَهُ وَلَقِيتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)

[سورة طه : ٣٩]

أي أودعت في قلب أمك وأبيك رحمة يرحمتك بها، وما منا واحد إلا وله أم وأب، وقد تلقى من رحمات أمه وأبيه الشيء الكثير، هذه الرحمة الخاصة رحمة الأم بولدها، رحمة الأب بولده رحمة موجودة ولكنها ليست من كسبه إنما جعلها الله في قلبه ليترافق الناس، أعرف صديقاً له قريبة توفيت، طبعاً أنا لا أأخذ من الرؤيا حكماً ولكنه نستأنس بهذه الرؤيا، فرق كبير بين أن تستتبط حكماً أو تقسيماً من رؤيا وبين أن تستأنس بهذه الرؤيا، هذه القريبة لها ابن من زوجها ولها ابن زوج من

غيرها، وكانا صغيرين، فإذا أرادت أن تطعم ابنها تسقيه حليباً خالصاً، أما ابن زوجها فكانت تملأ له نصف الكوب حليباً ونصفه ماء، توفيت هذه المرأة بعد عمر طويل رآها قريبيها في المنام تعذب، قال لي قريبيها رأيتها في ثمان سنوات كلما رأيتها في الرؤيا أراها معذبة إلى أن رأيتها بعد ثمان سنوات في حالة طيبة فلما سألتها عن سرّ حالتها الطيبة قال: يا ولدي لقد غفر الله لي ذنب الحليب، إِذَا الْأُمْ فَاسِقَةٌ، فَرِبِّيَّةٌ، بَعِيْدَةٌ، مَعْرِضَةٌ، مَسْتَهْرَةٌ، فِي قَلْبِهَا رَحْمَةٌ، هَذِهِ الرَّحْمَةُ لَيْسَ مِنْ كَسْبِهَا، وَلَيْسَ لَهَا فَضْلٌ بِهَا، وَإِنَّمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِهَا لِتَرْحِمَ أَوْلَادَهَا، إِذَا أَيْةٌ رَحْمَةٌ هَذِهِ التِّي نَسْعَى مِنْ أَجْلِهَا، أَيْةٌ رَحْمَةٌ هَذِهِ التِّي نَرْقَى مِنْ أَجْلِهَا، أَيْةٌ رَحْمَةٌ هَذِهِ التِّي نَتَقْرَبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيْةٌ رَحْمَةٌ هَذِهِ التِّي تَعْدُ مُؤْشِراً عَلَى صَدْقَ إِيمَانِنَا وَقُرْبَانِنَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قال:

((ولكنها رحمة العامة))

[الطبراني عن ابن مسعود]

أن يكون في قلبك رحمة هذا مقاييس،
مadam القلب قاسيًا، جلمودًا صخرًا،
الصلوة والصيام والحج والزكاة عبادات
شكلية لم تحدث هذه الصلة الحقيقية، كما
تعلمون الصلة ومن أجل الصلة بالله
عز وجل، والصيام من أجل الصلة بالله



الرحمة العامة هي التي نرتقي بها

عز وجل، والحج من أجل الصلة بالله عز وجل، والزكاة من أجل الصلة بالله عز وجل، وكل العبادات من أجل أن يتصل قلبك بالخلق، فإذا اتصل اصطبغ بكمال الله عز وجل، مقاييس، الآن عندك ابنك في المحل التجاري وعندك صانع فإذا وضعت على ظهر الصانع أكdas مكدة من البضائع وكلما ناء ظهره بهذا الحمل الشديد تقول: أنت شاب احمل، أما إذا جاء ابنك ليحمل الحمل تقول له: لا لا أخاف على ظهرك، اعلم علم اليقين أن رحمتك بابنك لا قيمة لها لكن الذي سوف تحاسب عليه رحمتك بهذا الطفل الصغير الذي لا ينتمي إليك نماء نسب، ألا تحب أن تملك مقاييس تقيس به إيمانك؟ ألا تحب أن ترى مقامك عند الله عز وجل؟ ألا تحب أن ترى مكانتك عند الله عز وجل؟ إن الرحمة التي أودعها الله عز وجل في قلبك تجاه أهلك وأولادك هذه رحمة ليست كسبية وليس من كسبك إنما هي رحمة أودعها الله في قلبك لترحم أولادك كي تستمر الحياة.



رحمة الأبناء بالأباء رحمة كسبية يرتقي بها الأولاد

أنت مقابل ذلك كما تعلمون من قبل الله عز وجل كلفك أن تبر أباك وأمك، فإذا رحمت أمك وأباك هذه رحمة الإيمان، هذه رحمة كسبية، لكن أباك وأمك ما كلها من قبل المولى جل وعلا أن يرحمك، لأن الرحمة في قلبهما فطرة طبع، سرعة ابتدائية، لذلك الله عز وجل أمرك أن ترحم أمك وأباك ولم يأمرك أن ترحم أولادك، لأنه أودع في قلبك ما

يكفي لترحم به أولادك، إذاً إذا قست ابنك بمقاييس وهذا الطفل الصغير في المحل التجاري بمقاييس آخر فاعلم أنك بعيد عن الله جداً، اعرف أنك لا تعرف الله عز وجل، إذا أردت أن تسب إنساناً تقول لعامة الناس كلمات معروفة بذئنة، أما إذا أردت أن تسب إنساناً سبباً راقياً فقل له هذا الكلام قل له: أنت تستخدم مقاييسن، أنت لك مقاييس مزدوجة، إذا أردت أن تعامل ابنك لك مقاييس، وإذا أردت أن تعامل الآخرين لك مقاييس، راقب نفسك إذا كان في البيت ابنته وزوجة ابنك هل عندك الإيمان الكافي لترحم زوجة ابنك كما ترحم ابنته؟ أخطاء ابنته مغفورة أما أخطاء زوجة ابنته فلا تغفر، إذاً أنت لك مقاييس مزدوجة تقسيس بها الأمور ليس هذا هو الدين، أردت من هذه الكلمة أن أضع بين أيديكم مقاييساً ورد في الكتاب والسنة، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ ثُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ فَلَوْبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

[سورة الزمر: ٢٢]

ما أبعدهم عن ذكر الله، والصلاحة ذكر، ما أبعدهم عن طاعة الله، يا ترى لأنهم قساة هم بعيدون أم لأنهم قساة ابتعدوا أم ابتعدوا لأنهم قساة؟ كلاماً صحيحاً، سماها المناطقة علاقة ترابطية تقسو فتبتعد، تبتعد فتقسو، كلما ابتعدت عن الله عز وجل قسا قلبك، وكلما اقتربت منه رق قلبك، إذا رقة القلب وقصوة القلب ورحمة الغريب، النبي عليه الصلاة والسلام فيما ذكر في بعض الأحاديث قال له أصحابه: كلنا يرحم صغارنا، قال عليه الصلاة والسلام ولكنها رحمة العامة.

أنا أريد الرحمة العامة، أريد أن ترحم الإنسان أي إنسان، الطفل أي طفل، هذا هو الذي يرفعك عند الله عز وجل، هذا أتعامل هذا الأجير كما تعامل ابنك؟ أتعامل هذه البنت الغريبة في بيتك وهي زوجة ابنك كما تعامل ابنته؟ أتعفو عن أغلاطها؟ أتسامح معها في تقصيرها؟ أترحمها؟ ألتتمس لها عذراً؟ أم تقسو عليها وتتغطر صدر ابنك عليها؟ فلذلك



قساوة القلب دليل بعد عن الله

القضية قضية تعامل، قضية قلب اتصل بالله عز وجل فامتلا رحمة هذه الرحمة فاضت، كان عليه الصلاة والسلام يبكي للأرمدة والمسكين، كان يوصل للهرة الإناء هذا من رحمته إذاً هذا مقياس، فالإنسان يراقب نفسه هل يرحمهم؟ هل يعطف عليهم؟ هل يبكي إشفاقاً على مصابيهم أم أنه ليس منهم؟ النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وَاللَّهُ مَا آمَنَ وَاللَّهُ مَا آمَنَ مِنْ بَاتِ شَبَّاعَنَ وَجَارِهِ إِلَى جَانِبِهِ جَانِعٍ))

[أخرجه الطبراني عن أنس]

هذه الاستقلالية عن الناس، أنا بخير وانتهى الأمر، أنا في بحبوحة ولا يوجد عندي مشكلة، أنا دخلي يكفي، إذا كنت كذلك فقلبك قاس، وقسوة قلبك علامه بعدك عن الله عز وجل، هذه حقيقة أضعها بين أيديكم حتى الإنسان لا يعش بصلاته، لا يعش بصيام النفل، لا يعش بقيام الليل، لا يعش بدفع الصدقات، مadam له قلب قاس لا يرحم فهذا القلب بالتأكيد وبالنص القرآني:

(فِيمَا نَفَضُّهُمْ مِنْ أَهْمَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحرَّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَسْوُا حَظًا مِمَّا ذَكَرُوا بِهِ وَلَا تَرَأَلُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَبِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفُحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة المائدة: ١٣]

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى ثُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوِيلٌ لِلْفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

[سورة الزمر: ٢٢]

قس قلبه من بعده عن ذكر الله، هذا معنى الآية الدقيق، ولو ذكر الله عز وجل لرق قلبه، قال تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رَضْوَانَ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقًّا رَعَايَتِهَا فَاتَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْفَوْنَ)

[سورة الحديد: ٢٧]

حديث اليوم:

((لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فُوقَ ثَلَاثٍ يَلْقَيَانْ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَا
بِالسَّلَامِ))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي أيوب]

حرص الإسلام على تماسك المجتمع :



الحقيقة هناك توجيهات للمؤمنين من قبل النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن هناك توجيهات اجتماعية، أي أنت إنسان اجتماعي تعيش في مجتمع، فكما أن الإسلام حرث حرصاً على سلامته الفرد وعلى صفاته وعلى قربه من الله عز وجل، أيضاً حرص الإسلام على تماسك المجتمع، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَلَا أَذْكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا
أَنْتُمْ فَعَلْمَتُمُوهُ تَحَابِبُمْ أَشْنُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))

[رواه مسلم، أبو داود، ابن ماجة، أحمد بن أبي هريرة]

ما لم نحب بعضاً فلسنا مؤمنين، النبي عليه الصلاة والسلام ربط الإيمان بالحب، إن لم تحب أخاك المؤمن فلست مؤمناً، إن أبغضته فلست مؤمناً، وإن أبغضك ليس مؤمناً، إن كنت مستقيماً على أمر الله، قائماً بواجباتك الدينية، وافقاً عند حدود الشرع، متخلقاً بأخلاق الإسلام، متبعاً لسنة النبي عليه الصلاة والسلام ومع ذلك يبغضك، لماذا يبغضك؟ هناك مشكلة، هناك خلل، إذا النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ...))

ولن كما يقول علماء اللغة لتأييد النفي، ولن تدخلوا الجنة حتى يحب بعضكم بعضاً، مadam النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((ولَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا))

إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعونا إلى أن نحب بعضاً، كيف يحب بعضاً؟ يجب أن تحب أخاك، كيف تحبه؟ هنا السؤال؛ إذا عاملته بالإحسان أحبك، وإذا أحبك أحسن إليك،

وإذا أحسن إليك أحبيته، ابدأ أنت بِأكرامه، ابدأ بِمراعاته، ابدأ بالحرص عليه، ابدأ بتقديم خدمات له، ابدأ برعايته، ابدأ بتفقهه، ابدأ بزيارته، ابدأ بإهدائه هدية إذا كان عنده مناسبة، قدم له شيئاً، إذا فعلت هذا أحبك وإذا أحبك أحبيته، كن أنت المبادر إلى التقرب إليه، كلما أحب أحدنا الآخر أحبنا الله جميعاً، يبدو أن الله سبحانه وتعالى يحبنا أن نحب بعضنا بعضاً، يقول الله عز وجل: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَذِّلِينَ فِيَّ))

[أخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل]

الفاسق و المبتدع :

لكن هناك سؤالاً، الإنسان هكذا يحب ببساطة؟ بسذاجة يقدم كل ما عنده للناس؟ بشيء من البساطة أم له مواقف؟ أي إذا رأيت ابنك منحرفاً أتبالغ في محبته والود له؟ لأنك تقره على عمله، أحياناً الإنسان إذا بالغ في بسط الوجه وإطلاق السرائر والإعلان عن محبته بعناد الألفاظ هذا ماذا يفعل؟ يجعله في موضع لا يستطيع أن يؤثر بالآخرين إذاً ما الحل؟ العلماء والفقهاء قالوا: إذا كان الرجل فاسقاً أو مبتدعاً، ما الفرق بين الفاسق والمبتدع؟ الفاسق إنسان عقيدته صحيحة لكنه انحرف، ارتكب معصية، مخالفة، تجاوز الحدود، أطلق بصره في الحرام، أكل مالاً حراماً، أؤثر عنه أنه يكذب، الفاسق كل من خرج عن منهج الله عز وجل، والمبتدع كل من اعتنق عقيدةً فاسدة، عقيدةً غير صحيحة، كل من خالف في اعتقاده ما ينبغي أن يعلن بالضرورة، كل من أنكر أساسيات العقيدة، أنكر شيئاً أجمع عليه العلماء، أنكر شيئاً فيه نص ثابت، آية قرآنية، حديث صحيح، حديث متواتر أجمعـت عليه الأمة من رسول الله حتى الآن، فعندك فاسق وعندك مبتدع، إنك إن أعرضت عن الفسق وغلب على ظنك أنه بإعراضك عنه ربما عاد إلى رشده، ربما تاب، هنا أجاز الفقهاء أن تهجره فوق ثلاثة، رجل له ابن لا يصلح، يرتد أماكن غير مقبولة، له أصدقاء غير مقبولين، فهذا الابن إذا أعرض عنه بنية أن يصلحه، أن يحمله على الطاعة، هذا الإعراض لا يدخل في صلب هذا الحديث، الحديث علاقته بمؤمن مستقيم، ملتزم، له عقيدة صحيحة، أما الفاسق والمبتدع فإذا أردت أن تعرض عنـهما كـي تحـملـهـما على طـاعـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـعـلـىـ تـصـحـيـحـ ماـ يـعـتـقـدـانـ بهـ وـغـلـبـ علىـ ظـنـكـ أنـكـ بـهـذاـ الـعـلـمـ رـبـماـ دـفـعـهـمـاـ إـلـىـ طـاعـةـ اللهـ وـإـلـىـ الصـوـابـ بـالـاعـقـادـ، قالـ: هـذـاـ الـهـجـرـانـ لاـ عـلـاقـةـ لـهـ بـهـذـاـ الـحـدـيـثـ.

((لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فُوقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانَ فِيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَا
بِالسَّلَامِ))

[رواه البخاري ومسلم عن أبي أنيم]

الأصل أنه من أكرم أخاه فكأنما أكرم ربه، الأصل أخوك إذا عرف بالصلاح والتستر ، معنى الصلاح أي يغلب عليه الصلاح، فإذا فعل شيئاً عن غير قصد ستره عن الناس حياءً من الله عز وجل، وحياءً من الناس، هذا الأخ الكريم لا يجوز أن تغتابه ، من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكن بهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو من كملت مروءته وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته ، قبل أن تقول: فلان كذا وكذا، قبل أن تطلق لسانك في أعراض الناس، قبل أن تقئم الناس، انظر إلى النبي عليه الصلاة والسلام:

((الغيبة أشد من الزنا))

[الجامع الصغير عن ابن أبي الدنيا]

أيعلم أن يزني المؤمن؟ إذا كان المؤمن لا يعقل أن يزني فكيف يغتاب والغيبة أشد من الزنا؟ قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَكَا تَجَسَّسُوا وَكَا يَعْتَبُ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرْهُهُمُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ)

[سورة الحجرات: ١٢]

فهذا الذي نبغيه أن:

((لَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَنْجِشُوا وَلَا تَبَاغِضُوا وَلَا تَدَابِرُوا وَلَا يَبْعِثْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بَعْضٌ وَكُوئُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيَشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِّنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))

[منفق عليه عن أبي هريرة]

إذاً قال الفقهاء: يجوز أن تهجر المبتدع، أي إنسان أنكر شيئاً مما ينبغي أن يعلم بالضرورة هذا مبتدع.

أنكر شيئاً أقرّ به كل علماء المسلمين، مثلاً الحج ليس فرضاً، هذا الحج والصوم أخي لماذا لا تصوم؟ الصيام من أجل أن تنهذب الأخلاق، وأنا أخلاقي مهذبة، هذا مبتدع أنكر فرضية الصوم، وكل إنسان طلع عليك بأفكار جديدة تخالف القرآن والسنة هذا مبتدع، هذا إذا بالغت في مودته، ومحبته، وإكرامه، والهش له، والإبتسام له، والإحسان إليه، وتعظيمه، فقد غششت الناس به، وقد جعلته يتمنى في غيره، الفقهاء أجازوا أن تقاطع الفاسق والمبتدع إذا ظننت أن هذه القطيعة ربما حملتها على طاعة الله عز وجل وعلى تصحيح ما يعتقدان.

شيء آخر: سيدنا عمر ابنه تعرفونه جيداً عبد الله بن عمر، يروي التاريخ أنه قاطع ولده مقاطعة طويلة، إذا الإنسان له ولد وأساء ومدّه في طغيانه الأب آثم، لذلك ورد في السنة أن الولد يوم القيمة يقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، والعلماء قالوا: يجوز أن تهجر الزوجة فوق ثلاث إذا كان هجرانها نافعاً، وغلب على ظنك أن



في هذا الهجران تعود إلى رشدتها، لكن اشترط العلماء أنه لا يجوز أن تهجر هذه الزوجة إلا بعد وعظها وتذكيرها، يوجد مواقف كثيرة جداً فيها غلط، فالإنسان يأخذ موقفاً قاسياً من زوجته دون أن يبين، دون أن يوضح، عليك أن تعظ، أن توضح، وأن تدلّي بالحجّة، وأن تذكر بكتاب الله وبالسنة، عليك أن تفعل كل شيء يوضح الحقيقة، وبعد ذلك إن حصل النشوز وبعد عندئذٍ تستخدم هذا الأسلوب الذي جاء بالقرآن الكريم، تهجرها فوق ثلاث، فوق ثلاث لا يجوز إلا لفاسق، أو مبتدع، أو لزوجة استعصت على أمر زوجها وأبىت أن تتصاع إلى زوجها والحكمة ضالة المؤمن حينما وجدها أخذها، قال لأصحابه: "من كنت أخذت له مالاً فهذا مالي، ومن كنت جدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليشتمه، ولا يخشى الشحنة فإنها ليست من شأني ولا طبيعتي "

الحديث الذي يدعم هذه الأحاديث يقول عليه الصلاة والسلام:

((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخاهُ فُوقَ ثلَاثٍ فَمَنْ هَجَرَ فُوقَ ثلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ))

[مسلم وأحمد عن أبي هريرة]

أنت مؤمن وهذا مؤمن وقوة المؤمنين في تماسكم، وتعاونهم، وتعاضدهم، وتكاففهم، عليك أن تلتمس لأخيك عذرًا ولو سبعين مرة، التمس لأخيك عذرًا ولو سبعين مرة، إنسان ما جاء على الموعد، أخي هذا ليس له مواعيد، ليس له حق، لعله وقع في مشكلة كبيرة جداً، لعل قريباً له مات، لعل ابنه دخل المستشفى، فأنت من قواعد التعامل الاجتماعي أن تلتمس لأخيك الأعذار ولو سبعين مرة.



هناك نقطة دقيقة هي أن النبي عليه الصلاة والسلام كلّم يعلم أنه معصوم لأنّه نبي ولأنّه مشرع، لو لم يكن معصوماً، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن معصوماً وأمرنا الله عز وجل أن نتابعه، وأن نقتفي آثره، وأن نسير على منهجه وسنته، ولم يكن معصوماً، فكان الله سبحانه وتعالى أمرنا بالمعصية، النبي عصمه الله

عصمة تبليغ في أقواله وفي أفعاله وفي إقراره وفي سلوكه، لكن أمه معصومة أيضاً، من يقبل هذا الكلام؟ هو معصوم وأمه معصومة، لكن الفرق بين الكلمتين أنه معصوم بمفردہ بينما أمه معصومة بمجموعہ، المجموع معصوم، أن الإنسان تفوق في ناحية وغابت عنه ناحية، إنسان آخر تفوق في هذه الناحية التي غابت عن الأول وقصر في ناحية توفرت في الأول، إذا كلاهما بمجموعهما معصومان، كلاهما متكملاً، إذا فهمنا هذه الحقيقة تعانا فيما اتفقنا، وأعذر بعضاً فيما اختلفنا، إذا قلنا لابد من أساسيات نتفق عليها، الأساسيات ما ينبغي أن يعلم من هذا الدين بالضرورة، أركان الإسلام وأركان الإيمان، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن نصوم رمضان، ونصلّي الخمس، ونحو البيت، طبعاً والتفرعات في البيوع وفق الشريعة الإسلامية، في الزواج، في الطلاق، في كل حركاتنا وسكناتنا، هذه الأشياء الأساسية مادمنا متفقين عليها إذا لنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضاً فيما اختلفنا فيه، إذا إنسان له وجهة نظر في موضوع معين تختلف وجهة النظر لإنسان آخر هذا لا يقتضي العداء والشحنة والقطيعة، هذا شيء لا يرقى لهذا المستوى، النبي صلى الله عليه وسلم معصوم عصمة تبليغ بأقواله وأفعاله وأحواله وإقراره وصفاته، وأمه معصومة أيضاً ولكن بمجموعها، كل من يكمل الآخر هذه الفكرة رائعة جداً في التقرير، في التوفيق، في التحبيب، في تأليف القلوب، في تقرير وجهات النظر، في التعاون، في التكافف، لأن المسلمين قوتهم في اجتماعهم وضعفهم في تفرقهم، قوتهم في تعاونهم وضعفهم في تنافسهم، قوتهم في محبتهم وضعفهم في البغض الذي بينهم.

صفات المنافقين :

شيء آخر نحن كما قلنا دائمًا: إذا كان الهدف واحداً والطريق إلى هذا الهدف واحداً أيضاً، والوسائل واحدة، فاللقاء حتمي، إذاً نحن نريد لأن النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الثاني يعد من يهجر أخاه فوق ثلات بالنار، لأنه خرج من خندق المسلمين وكان في خندق آخر، لأنه خرج من صف المسلمين مadam قلبه ممتلئاً بغضنا لهم، وحقدنا، حسداً، وضغينةً، إذاً هو ليس منهم وهذه صفات المنافقين، قال تعالى:



الحقد على أخيك المؤمن علامه ضعف الإيمان

(إِنْ تُصِّبَ حَسَنَةً سُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِّبَ مُصِيَّةً يَقُولُوا قَدْ أَخْدَتَا أَمْرَنَا مِنْ قُلْنُ وَيَتَلَوْنُ وَهُمْ فَرَحُونَ)

[٥٠] سورة التوبية:

أي أنت معك مقياس ثان، أول مقياس بدأنا به الدرس الرحمة، إذا أخوك أصابه خير، أو أخوك الله عز وجل أكرمه، أو أخوك انطلق في الدعوة إلى الله، أو أخوك رفعه الله، أو علمه علمًا ثميناً فإذا امتلاً قلبك حقداً عليه، وحسداً، فهذه عالمة ضعفٍ خطيرة جداً ينبغي أن تحب ذلك له، وأن تحبه لنفسك، لذلك العلماء فرقوا بين الحسد والغبطة، الحسد أن تتنمى زوال النعمة عن أخيك وأن تصير إليك، أما الغبطة فإن تفرح له بهذه النعمة وأن ترجو الله عز وجل أن يهبك متلماً وهبه هذه الغبطة، أي توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام لو طبقناها لأصبح المجتمع متماسكاً، لأصبح المجتمع قوياً.

منهج القرآن منهج كامل :

نقطة أخيرة أحب أن أعالجها لكم، نحن كما قلت لكم من قبل يقول الله عز وجل:
(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعِنْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالظِّيَحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُمُ وَمَا دُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ

**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطَرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُجَانِفٍ لِإِيمَنِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**

[سورة المائدة: ٣]

معنى أتممت أي عدد القضايا التي عالجها الإسلام قضايا تامة، الإسلام ما أغفل ولا قضية لقول الله عز وجل:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)

ومعنى أكملت أي طريقة معالجة كل قضية طريقة كاملة، معالجة عميقة، شاملة، تعطي القضية كل أبعادها.

المنهج الذي جاء به القرآن، هذا الكلام دقيق جداً، وأعلق عليه أهمية كبرى، المنهج الذي جاء به القرآن هل هو منهج كامل أو ناقص؟ طبعاً سوف تقولون: كامل، إذا كان هذا المنهج كاملاً هذا المنهج صالح لأنه يرقى بك إلى أعلى علبيين، صالح إلى أن يحقق لك الهدف الذي من أجله خلقت، أيسنطط إنسان كائن من كان أن يضيف عليه شيئاً؟ لمجرد أن يضيف عليه شيئاً فقد اتهمه بالنقص أليس كذلك؟ لذلك نحن عندنا إسلام، وعندنا إيمان، وعندنا سنة النبي العدنان، لا نريد أن ندخل في الإسلام مصطلحات جديدة، الإسلام ليس فيه ازدواجية، هكذا وهكذا، ظاهر وباطن، لا، ما فعله النبي بنية صافية خالصة هو الإسلام، إذا كلما عقدنا الإسلام ابتعدنا عنه، وكلما بسطناه اقتربنا منه، تعقيده ليس في صالح المسلمين، وتعقيده بعد به عن حقيقته، بعد به عن خط سيره، بعد به عن جوهره، إذا الصلاة مثلاً ماذا يقول في الصلاة علماء الشريعة؟ يقولون: إنها حركات وسكنات وقراءات، تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، لها شروط ولها أركان، ولها واجبات، سنن ومستحبات، لها آداب، إذا الإنسان طبق شروطها وأركانها ووقف بين يدي الله عز وجل وقلبه ساه ولاه، يا ترى صلى بمقاييس القرآن؟ عند الفقهاء صلى صلاة تامة أما بمقاييس القرآن قال تعالى:

(إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

[سورة طه: ١٤]

(وَاسْجُدْ وَاقْرَبْ)

[سورة العلق: ١٩]

**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَئْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقْوِلُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي
سَبِيلٍ حَتَّى تَغْسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النَّسَاءَ
فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَمَمُّوا صَعِيدًا طَبِيبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيْكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا)**

[سورة النساء: ٤٣]

هل علمت ما قلت؟ هل ذكرت الله في الصلاة؟ هل اقتربت منه؟ هل أقمت الصلاة لذكر الله عز وجل؟ علماء الشريعة يقولون: الصلاة حركات وسكنات وقراءات وعلماء التصوف يقولون: الصلاة إقبال على الله عز وجل، ماذا قال النبي؟ من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا

بعدأً، معنى هذا بمقاييس النبي أن تقف وأن ترکع وأن تسجد وأن تقبل على الله عز وجل، قال النبي صلی الله عليه وسلم لرجل: قم فصلٌ فإنك لم تصل؟ إذاً إذا بقينا في سنة النبي من دون أن نضيف مصطلحات جديدة، مصطلحاتنا الإيمان، الإسلام، الصلاة، الصوم ، الحج، الزكاة، أراد الله عز وجل أن نصوم كما يريد، يريد صياماً لا معصية فيه، يريد قلباً مفعماً بمحبته وذكره، يريد جوارح مستقيمة على أمره، يريد لساناً رطباً بذكر الله، يريد دخلاً حلالاً أطيب مطعمك تكون مستجاب الدعوة، إذاً الأصح: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"

صلاح أولها بأن الإسلام شيء واحد، ازدواجية لا يوجد، ظاهر وباطن وحقيقة وشريعة، الإسلام واحد، والنبي عليه الصلاة والسلام سنته، وأفعاله من روح واحدة، هذا الذي أريد أن أقوله لثلاثة نظن أن هناك ازدواجية، هناك شيء ظاهر وشيء غير ظاهر ليس هناك إلا الإسلام، أما إذا طبقناه كما أراد الله عز وجل تكون قد أحطناه من كل جوانبه.

صفات النواوح يوم القيمة :



والآن إلى فقرة قصيرة متعلقة بالمرأة:

((إن هذه النواوح))

[الطبراني عن أبي هريرة]

أي المرأة التي تبكي، وتتصيح، وتشد شعرها، وتمزق ثوبها، وتصرخ بويلها، وتلطم وجهها، وتستأجر نائحات معها، وتخرج خلف الجنازة إلى مسافة بعيدة، ويعلو صوتها، وتتكشف عورتها.... هذه ليست مسلمة لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلی الله عليه وسلم إن هذه النواح يجعلن صفين يوم القيمة في جهنم، صف عن اليمين وصف عن الشمال فينبحن على أهل النار كما تنج الكلاب))

[الطبراني عن أبي هريرة]

المرأة المؤمنة تبكي وتتألم وتحزن، أما شد الشعر، ولطم الخد، وتمزيق الثوب، والصراخ بالويل، وجسر البيت راح، وتخرج كاشفة ظاهرة العورة وراء الميت، وهذه صفة غير المسلمات هكذا وجه النبي عليه الصلاة و السلام:

((لعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّائِحَةِ وَالْمُسْتَمْعَةِ))

[أبو داود عن أبي سعيد الخدري]

والمسمعة أيضاً آثمة.

أخلاق المرأة المسلمة :

وهناك نساء الصحابة مثل أعلى، أحد أصحاب رسول الله له ولد مريض فجاء إلى البيت وكان مسافراً فسأل زوجته كيف حال ابني؟ وكان قد جاء متعباً ومسافراً وربما جاء من الجهاد، قالت: هو في أهداً حال، فأكل وشرب واستراح وفي بعض الروايات وأصاب منها، الصحابة كان لهم كلام رائع جداً، كلام كله أدب، أصاب منها قوله تعالى:

(لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)

[سورة النساء : ٤٣]

(فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ)

[سورة المؤمنون : ٧]

" يا بنبي إن هذه الثياب تصف حجم عظامك" ، كلمة عظام لا تثير الشهوة، أية كلمة قالها النبي غير هذه الكلمة تثير الشهوة:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا تَأْبِي طَحَّةً مِنْ أُمّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا لَا تَحَدِّثُوا أَبَا طَحَّةَ بِأَبْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَحَدَّهُ قَالَ فَجَاءَ فَقَرَبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرَبَ، فَقَالَ: ثُمَّ تَصْنَعْتُ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَ تَصْنَعُ قَبْلَ ذَلِكَ فَوَقَعَ بِهَا فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبَعَ وَأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَحَّةَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوهَا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلُمُ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ قَالَ: لَا قَالَتْ: فَاحْسِبِ ابْنَكَ، قَالَ: فَخَضِبَ وَقَالَ تَرَكْتِنِي حَتَّى تَلْطَخَ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لِيَتَكُمَا))

[مسلم عن أنس]

ما هذا الموقف الحكيم؟ ما هذا الموقف الشجاع؟ يبدو أن هذا الصحابي الجليل لشدة إعجابه بزوجته ذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وحدثه بهذه القصة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لِيَتَكُمَا))

ويروي التاريخ أنه أنجب ولداً ذكرأ حفظ القرآن كله، وهذا الولد أنجب عشرة أولاد حفظوا كلهم القرآن الكريم، هكذا الصحابية، كانت الصحابية تقول لزوجها قبل أن يغادر البيت: يا فلان اتق الله فيما نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، الآن تقول له: لماذا لا تغير هذا الأثر؟ هذا فلان غير وهذا فلان غير، أي تحمله على أكل المال الحرام، لذلك قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَكُمْ فَاحذِرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفُحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة التغابن: ٤]

هذه عدوة المال لا عدوة الحال، أي إذا حملتك زوجتك من أجل أن ترضيها على أن تعصي الله عز وجل، وعلى أن تكسب مالاً حراماً، هذه الزوجة ولو أنك تحبها وتحبك لكنها في النهاية عدوة لك لأنها تدفعك إلى النار، لذلك المرأة المؤمنة الصالحة تقول: "نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام"، شد الشعر ولطم الخد، والصراخ بالويل، وكشف العورة، ورفع الصوت، هذه أخلاق غير المسلمات، والشيء الآخر حتى في مناسبات الأفراح ترفع النسوة أصواتهن فرحاً، الصوت عورة فإذا انقل الصوت إلى كل الجيران أو صار غناه وهرجاً ومرجاً في هذا العرس هذا أيضاً ليس من أخلاق المسلمين:

((لَعْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّائِحَةِ وَالْمُسْتَمِعَةِ))

[أبو داود عن أبي سعيد الخدري]

لذلك ورد في بعض الأحاديث:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ مَهْلًا يَا بُنْيَةَ أَلْمَ تَعْلَمِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ))

[مسلم عن عبد الله]

أي هو لماذا لم يعلم أهله هو قصر معهم؟ لماذا لم يبين لهم؟ لم يبلغهم؟ لم يرشدهم؟ في حياته أنسني إذا مت لا يعلو صوتكن، لا تفعلن كذا، هذا بعض توجيهات الحديث.

توجيهات رسول الله في أفراحنا وأحزاننا :

هناك توجيه آخر: إذا مات المؤمن ورأى مقامه عند ربه، ورأى مكانه في الجنة فإذا بكى عليه أهله يتالم هو أنا في مقعد صدق عند ملك مقتدر، لماذا البكاء والعويل؟

((عَنْ امْرَأٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أَخْذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْرُوفِ الَّذِي أَخْذَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نُعْصِيَ فِيهِ أَنْ لَا نَخْمُشَ وَجْهَهَا وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا وَلَا نَشْقَ جَيْبًا وَأَنْ لَا تُشَرِّ شَعَرًا))

[البخاري عن أم عطية]

وفي حديث آخر:

((لَيْسَ مِنَ لَطَمِ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ))

[أحمد عن عبد الله]

مرة حدثني أخ طبيب في مستشفى قال لي: في غرفة جاء مريض مصاب بمرض خبيث في أمعائه، ووجهه فيه نور، فكلما دخل عليه إنسان، ممرض، طبيب، زائر، قريب، يقول له: أشهد أنني راض

عن الله، يا ربى لك الحمد، قال: هذه الكلمة ما غابت عن لسانه، مضى اليوم واليومان والأيام الثلاث ثم توفاه الله عز وجل، قال: أذكر أنه إذا قرع الجرس تهاقنا على خدمته، تدافعنا، تسابقنا قال: والله كلما دخلت غرفته أشم رائحة طيبة وأنس به وأتمنى أن أخدمه، قال لي: من آيات الله الدالة على عظمته مات هذا المريض في أحسن حال، ودخل مريض آخر يعاني المرض نفسه وفي أمعائه، قال لي: والله ما تركنبي إلا وسبه، وكان سباب الإله عنده مع أنفاسه، فإذا قرع الجرس لا أحد يلبيه يسب ويسب، قال: ندخل إلى غرفتها فيها رائحة لا تحتمل، موازنة عجيبة، الغرفة واحدة والأطباء هم هم، والممرضون هم هم، المرض هو هو، الآلام هي هي، قال لي: إنسان ملا المستشفى أنساً وروحًا وريحاناً وإقبالاً وهو مريض وما صاح، كلما دخل عليه إنسان يقول له: أشهد أنني راض عن الله، أما الثاني فقال لي: والله عندما مات كأنه كالجيفة، قال تعالى:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً)

[سورة السجدة]

لا في المرض، ولا في الصحة، بمناسبات الفرح، حدثني أخ قال لي: صار عندنا حفل فرح في البيت، وأنا سمعت ذلك، أي مدح رسول الله، وألقيت كلمة طيبة عن رسول الله وعن آداب المرأة المؤمنة، وعن أخلاق المسلمين، وعن وعن، شيء رائع جداً، عقد قران فيه توجيهي بيني، فيه مدح لرسول الله، يوجد حشمة في اللباس، أدب نبوي، ترى حفلاً آخر التهاتك، والتفلات، والصراخ، والغناء، والرقص إلى ما شاء الله، شتان بين احتفال المؤمن واحتفال غيرهم حتى في المناسبات الحزينة هنا يوجد صبر، النبي الكريم توفي ابنه إبراهيم فبكى فنظر له سيدنا عمر وقال: "أتبكي؟" فقال: يا عمر إن العين تندمع وإن القلب ليحزن وما نقول ما يسخط الرب، وإن عليك يا إبراهيم لمحزونون"

هذا الموقف الإسلامي، المؤمن يحزن شيء طبيعي جداً، لكن لسانه منضبط، يعرف أن فعل الله كله حكمة، لأن قضاء الله عز وجل وقدره كله رحمة، النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن))

[الحاكم عن أبي هريرة]

توجيهات النبي في أفراحنا، ولا سمح الله ولا قدر رجل له قريب توفي، الموت حق، العين تندمع والقلب يحزن لكن يا رب لك الحمد والشكر، هذا قضاوك وقدرك، ماذا علمنا النبي؟ علمنا أن نقول: إنما الله وإنما إليه راجعون، لا حول ولا قوة إلا بالله:

((عَجِبْتُ لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ لَيْسَ ذَلِكَ لَا حَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ وَكَانَ خَيْرًا))

[مسلم و الدارمي عن صهيب]

النبي عليه الصلاة والسلام:

((حدَثَنِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ وَجَعَ أَبُو مُوسَىٰ وَجَعًا فَعْشِيَ عَلَيْهِ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرٍ امْرَأَةٍ
مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرَأَ
مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِفَةِ
وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَةِ))

[النسائي وأحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي بردة بن أبي موسى]

الصالفة هي المرأة التي ترفع صوتها بالندب والنياحة، برأ منها، والحالقة التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثوبها.

هذه توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم في أفرادنا وفي أحزاننا، هذا المسلم هكذا.

والحمد لله رب العالمين